د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

ـ دخول السلاجقة الى بغداد

بعد ان فرغ الامير طغرل بيك من بسط سيطرته على كل الاجزاء الشرقية للعراق، لم يبق له الا التوجه الى العراق ويقضي على بقايا النفوذ البويهي في العراق والمتمثلة بوجود الملك الرحيم البويهي وبقايا الاسرة البويهية في بغداد، إذ أخذ طغرل بيك يراسل الجند الاتراك داخل الجيش البويهي ليكسبهم الى صفه واخذ يعدهم ويمنيهم من اجل كسبهم جانبه خاصة انهم اصبحوا اصحاب النفوذ في العراق حيث اخذوا يعينون ويعزلون اذ تدخل الجيش البويهي الذي سيطر عليه الاتراك في تعيين أمراء بني بويه، ولهذا حاول الامير السلجوقي كسبهم، كما ارسل وفداً الى الخليفة في بغداد حاملا معه آيات الطاعة والولاء للخليفة العباسي، والهدف معروف هو كسب رضا الخليفة العباسي في بغداد.

العوامل المساعدة لاحتلال السلاجقة للعراق

1 ـ لقد كان الوضع الامني والاداري غير مستقر في بغداد بسبب تدهور الحكم البويهي وانشقاق بين افراد الجيش البويهي وبخاصة بين فرعيه التركي والديلمي، كما الخلاف محتدما بين رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان وزيرا لآخر ملك بويهي في العراق وهو الملك الرحيم إذ كان هذا الوزير على خلاف شديد مع قائد الجيش أبي الحارث البساسيري الذي اعتنق مذهب الفاطميين لأسباب سياسية وخطب لهم. فضلا عن ان الخلافة العباسية كانت مهددة من قبل الفاطميين الين سيطروا على أغلب مدن الشام حتى سيطروا على الشام عام (441هـ/1049م).

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

2 ـ بعد سيطرة طغرل بيك على الاوضاع في خراسان حدثت ثورة قادها أحد أنصار البويهيين في ولاية فارس، وه القائد (فولاذ) صاحب قلعة اصطخر، الذي استولى على سيراز وقطع الخطبة للسلطان طغرل بيك وخطب للملك الرحيم البويهي آخر حكام البويهيين في بغداد، وعلى الرغم من استعادة الوضع في اقليم فارس من قبل السلاجقة الا ان هذه الحادثة قد حفزت طغرل بيك للقضاء على الوجود البويهي بصورة نهائية في العراق والمتمثل بالملك الرحيم.

3 ـ أما بغداد فقد اضطربت أمورها((وصار كل جندي فيها رأساً لنفسه، وانقطعت موارد البلاد)) واصبح الخليفة العباسي فاقد الثقة بمن حوله، والملك الرحيم البويهي لا يعرف ماذا يفعل، ووجد الوزير ابي القاسم علي بن المسلمة والملقب برئيس الرؤساء في مراسلة طغرل بيك خير مخرجا من مشاكله، على اعتبار انه الاقوى وربما يستطيع ان يحافظ على منصبه على اقل تقدير، أما قائد الجيش البساسيري فقد رأى ان دخول السلاجقة بغداد معناه زوال لمكانته، فدخل في صراع مع الوزير وراسل الفاطميين.

تتبع سير حملة السلطان طغربيك الى بغداد سنة 447 هـ

أن هذه الاوضاع كلها ساعدت طغرل بيك على تنفيذ خطته التي كان قد رسمها لدخول العراق، ولما تهيأت الظروف كلها لصالحه

ـ تحرك الجيش السلجوقي بقيادة طغرل بيك بسرعة لدخول العراق سنة (447هـ/1055م)، واختار أسرع طريق يوصله الى بغداد، وهو طريق حلوان، وعندما وصل حلوان لم يجد الملك الرحيم البويهي بدا من الرضى بما يحدث بعد ان خذله جنده وقائد الجيش البويهي.

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

ـ ولما وصلت أنباء وصول الجيش السلجوقي الى اطراف العراق الى سكان بغداد، هام الناس هناك وجوههم وتحيروا في كيفية مواجهة هذا الموقف، كما تحفز الجيش في بغداد واستعد لما قد يحدث. وهنا طهرت مقدرة السلطان طغرل بيك السياسية في عدم اثارة اهالي بغداد ضده.

ـ ولكي يطمئن الناس ويمتص غضبهم ويقلل من احتمالية تعرض الجيش السلجوقي لأية اصطدام غير متوقع، قام بإرسال وفدا الى بغداد مع رسالة يطمئن بها الخليفة العباسي والناس، إذ بين في الرسالة ان القصد من قدومه الى بغداد هو للتبرك بزيارة بغداد، ثم يتجه بعدها الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ومن ثم العودة الى بلاد الشام لطرد الفاطميين منها واعادتها الى حظيرة الدولة العباسية، وقد اقتنع الخليفة العباسي بهده الرسالة وأمر بذكر اسم طغرل بيك السلجوقي في خطبة الجمعة بعد اسم الملك الرحيم البويهي بالنص التالي((السلطان ركن الدولة أبا طالب طغرل بيك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين)).

ـ وزيادة في الحيطة أرسل طغرل بيك رسولا آخر الى بغداد، يستأذن الخليفة العباسي بالسماح له في دخول بغداد فأذن له. ولما وصل جيش طغرل بيك الى النهروان، خرج لاستقبالهم الوزير رئيس الرؤساء وضم معه وفد من كبار موظفي الدولة، من قضاة ونقباء وعندما علم طغرل بيك بوصول الوفد اليه أرسل لاستقبالهم امرائه ووزيره أبا نصر محمد ابن منصور الكندري، وهو أول وزراء آل سلجوق، ولما التقى طغرل بيك برئيس الرؤساء أبلغه الاخير برسالة الخليفة((واستحلفه له وللملك الرحيم والامراء الاجناد فأجابه)). إذ تمخض اللقاء على اتفاقية نصت على ما يلي:

1 . صون الخلافة والحفاظ على هيبتها.

2 . الابقاء على الملك الرحيم البويهي لمدة من الوقت لحين مغادرته بغداد.

د. علاء مطر تايه
د. شفيقة نصيف جاسم

3 . الحفاظ على الامن والنظام في العراق.

ـ توجه طغربيك الى بغداد بصحبة الجيش السلجوقي ودخل بغداد في الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة(447هـ/1055م)، في موكب ضخم ونزل بباب الشماسية، والتقى بصاحب الموصل قريش بن بدران، إذ استقبل طغر بيك في بغداد احسن استقبال واعترف به الخليفة العباسي سلطانا على جميع المناطق التي سيطر عليها، ولقبه بـ(ملك المشرق والمغرب). كما تزوج الخليفة القائم بأمر الله من ابنة جغري بيك أخو طغرل بيك وهي(ارسلان خاتون خديجة).

المصادر والمراجع

1. ابن الاثير، الكامل في التاريخ.
2. طقوش، تاريخ العصر العباسي.